فتوى ابن تيمية في شيعة لبنان وسوريا:

كانت الشام في القرنين السابع والثامن في حروب دائمة داخلية وخارجية، وسببها توازن القوى المحلية وتنازعهم، وهجوم التتار المسلمين[1] من المشرق والصليبيين النصارى من المغرب.. وجرت في ذلك حروب، وفتن واختلافات.. وربما تنافس زعماء المسلمين على الاستعانة بهذا الطرف التتري أو هذا الطرف الصليبي[2]، وهذا أمر طبيعي يحدث عند ضعف السلطة وقلة الأمان والخوف من القريب قبل البعيد..

في هذا الجو المشحون كان بعض المسلمين من سنة أو شيعة يقفون على الحياد أو يقطعون الطريق أو يكاتبون الأقوى ..الخ.. فأراد ابن تيمية تحويل هذه الاختلافات السياسية إلى اختلافات مذهبية .. لتحويل الشام إلى دولة حنبلية خالصة على نمط دولة المتوكل في القرن الثالث..

مواقف الأقليات في الشام طبيعية لا علاقة لها بالمذهب:

وكان من ضمن ذلك أن الأقليات بالشام سواء كانوا شيعة أو دروزاً أو نصيرية أو علويين أو مسيحيين ربما فرحوا لانتصار الخارجي (التتار أو الصليبيين) على الداخلي (المملوكي) ، وهذا الميل من المسلمين خاصة لا يعدو أحد أمرين، إما نتيجة نفاق والنفاق ليس فيه حد شرعي، وقد كان المنافقون في عهد النبي (ص) يفرحون لحزن المسلمين ويسوؤهم نصرهم وسرورهم، وإما ردة فعل لما يتعرضون له من اضطهاد وهذا الأقرب للاحتمال، فكان يجب على تلك الدول الإنصاف والعدل وترك اضطهاد الأقليات المذهبية، .. هذا أمر طبيعي يحدث في كل زمن وموطن.. وهذا ليس تبريراً وإنما وصف للواقع.. كما وقف العرب مع دول الاستعمار ضد الدولة العثمانية، وكما

---

[1] ونتيجة لأثر ابن تيمية الكبير على المسلمين من السلفية وربما غيرهم، فأكثر المسلمين يظنون أن التتار كانوا كفاراً! وأنهم هم الذين بدؤوا بالاعتداء على الشام .. ! فلذلك يجعلون حرب المماليك للتتار كحربهم للصليبيين.. نعم الحروب الأولى كعين جالوت عام 658 هـ كانت بين المغول والمماليك قبل أن يولد ابن تيمية.. أما الحروب في عهد ابن تيمية فهي بين مسلمين ومسلمين..وكان المماليك بادئين بالتحرش بالتتار والهجوم على ماردين ... (راجع: وثائق العصر المملوكي لمحمد ماهر حمادة – جامعة الإمام).. وكل الكتب عن ذلك العهد.. لكننا لا نقرأ إلا ما كتبته مدرسة ابن تيمية عن تلك المرحلة..

[2] كان الصالح الأيوبي حاكم دمشق وعز الدين أيبك المملوكي حاكم مصر، كلاهما يكاتب الصليبيين في عكا ويعرضان على عليهم القدس هدية مقابل نصرة الصليبيين لأحدهما ضد الآخر.. وهذان الحاكمان كلهم من السنة.. فالخيانة ليس لها مذهب ولا دين.. والمصلحة السياسية لا تقف عند هذا، ولذلك ليس من العلم والموضوعية إن وجدنا شيعياً أو درزياً أو مسيحياً كاتب العدو الخارجي أن نوظف هذا مذهبياً ونسحب هذه الخيانة على الدين أو المذهب.. وعصرنا شاهد على هذا .. وابن تيمية ممن يوظف مثل هذه الأمور توظيفاً تحريضياً مذهبياً كما سنرى في فتواه بعد قليل..

حصل لكثير من المسلمين المعاصرين في العراق وأفغانستان في وقفتهم المعنوية أو العسكرية مع الغرب ضد سلاطين وحكومات بلادهم..

هذا أمر طبيعي لا علاقة له بالمذهب إنما بالمصلحة، ويجب أن يتنبه له المسلمون من حيث تجنب ظلم الأقليات حتى لا تميل للأعداء، فالمظلوم لا يرده شيء عن الميل مع الآخر لظنه أنه سيرفع عنه الظلم ... ولا يتبين ظلم العدو من عدمه إلا بعد الممارسة .. فقد يكون الوضع أسوأ وقد يكون أفضل.. وهذا الوضع هو قطب النسبية، وعليه دوران التحليلات والآراء..

تفسير الموقف بالمذهب عدول عن جوهر المشكلة:

ولكن أن يتم تفسير هذا الميل للآخر بأن هذا راجع إلى بغض المظلوم لأهله وبني دينه .. أو أن هذا بسبب مذهبه ودينه ...فهذا تحميل للموضوع ما لا يحتمل.. وهو تفسير يأخذ بالناس إلى موضع آخر لا يدركون معه جوهر المشكلة ولا يعملون على تصحيح الأوضاع.. فأغلب ما تدور عليه حروب الناس والدول هي المصالح والحقوق.. ولو أن علماء المسلمين فسروا مثل هذه الظواهر والمصائب تفسيراً يتعلق بالعدل والظلم بالمصالح والحقوق، لكان هذا أدعى لإصلاح الخلل وأقرب إلى التشخيص الصحيح، فالعدل ضامن لكل عاقل وهو حجة على كل خائن.. ومع عدمه يذهل العاقل عن عقله، ويوغل الضعيف في خيانته ..هذا درس يجب أن يحفظه طلاب المدارس وأرباب السياسة والثقافة..

أما أن يسمح عقلاء المسلمين لأرباب المذاهب ومتعصبي الطوائف من رجال الدين والدنيا، باجتيال عقولهم والاحتيال على قلوبهم، بصرف معلوم الأمور إلى مجهولها، ودفع الأسباب عن شرعة ورودها، فهذا تضييع للحقيقة، وتضليل للعامة، وغش في النصيحة..مع ما يترتب على ذلك من التعتيم على الواقع، وتضليل الأجيال التي نطلب منها الاستفادة من التاريخ..

هذه الاستفادة من التاريخ لا يضيعها إلا رجال الدين الذين يعيدون أسباب التنازع والإخفاق والخيانة لاختلاف المذهب، وأنه لا يخون ولا يظلم إلا من يخالف مذهبهم.. ولا يستقيم إلا من يلتزم مذهبهم.. هذه التفسيرات المذهبية الشاذة عن الجادة، والشاردة من الواقع هي من أكبر أسباب تخلف المسلمين وضعفهم في تحليل الظواهر الإنسانية والأحداث التاريخية..والمشكلة أن تحليلاتهم المذهبية تنتشر بين الناس لأنهم يقرؤونها على كل منبر ويسطرونها في كل موعظة ويخلطونها مع الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة..فيعظم الوهم وتبلغ الفتنة مبلغها.. إذ يختلط الحق والباطل، فلا تدري أيهما تركب.. فتنة ابن تيمية كبيرة وعميقة جداً .. لأن معظم كتابته شفرات سرية وغامضة لا

يفهما إلا القليل.. ولذلك نجد الغلاة أكثر لصوقاً بتراثه وآرائه من المعتدلين... لأنهم – أعني الغلاة- يعرفون قيمة هذه الآراء وأهمية التمسك بها، خاصة مع أقرار خصومهم تقليداً على الثناء على ابن تيمية دون بحث ولا تعمق ولا إدراك لخطورة وتبعات هذا الثناء ..

وهذه نص الفتوى، وسنرى ضعفها الشرعي وعدم ملاءمتها لأي دولة تريد أن تقوم على أي قطعة من العالم الإسلامي.. إلا إذا كانت لا تهتم بأمر الشرع وسيرة النبي (ص) مع من هو أشد من هؤلاء الأقليات، كما لا يهمها ديمومة بقائها ولا استقرارها.. وسأضمن الفتوى بعناوين تفسيرية بين معكوفيتن [...]، وأعلق في الهامش على نماذج من الفتوى..وقد أبالغ في الرد على أوائل الفتوى .. ثم أخفف أو أترك الرد من أواسط الفتوى إلى آخرها اكتفاء بالمنهج في التدقيق في الألفاظ التي يطلقها ابن تيمية.. فإذا ثبت اختلال المقدمة سهل اكتشاف البقية.. أما الفتوى الأخرى في تحريم الكيمياء ..فسأتركها بلا نقد... مع أني أخشى إن قرأها من لا يعرف أسلوب ابن تيمية أن يقتنع بأنها محرمة..لأنه يتكلم عن شيء آخر من السحر والشعوذة والغش التجاري الذي كان يمارسه بعض الناس.. وهناك سر لابن تيمية في تحريم الكيمياء وتحمسه لذلك .. وليس كل سر يكشف..

نص الفتوى (فتوى ابن تيمية في شيعة لبنان)[3] :

(وكتب شيخ الإسلام إلى الملك الناصر[4]..

بعد وقعة جبل كسروان بسبب فتوح الجبل[5]

[3] مجموع الفتاوى [جزء 28 - صفحة 398] وسنرى أنها تنسحب على كل المذاهب المخالفة للمذهب الحنبلي.

[4] هو الناصر بن قلاوون المملوكي..حكم صبياً عام 693- ومات كهلاً عام 741هـ.. وقد عزل ثلاث مرات ما مجموعه نحو تسع سنوات.. وقد مات ابن تيمية في عهده مسجوناً عام 728هـ.. بعد أن فشل في تحييده واستعدائه ضد المخالفين للمذهب الحنبلي.. وهذه النتيجة لن تقبل بها مدرسة ابن تيمية لأنها قد أشاعت بأن ابن تيمية كان هو المظلوم.. وأنه هو المسامح وأن خصومه هم المعتدون عليه المحرفون لأقواله ..بينما الواقع أن فتاواه كانت تقتضي تكفير أهل عصره ممن يخالف مذهب فرع من فروع المذهب الحنبلي ووجوب قتلهم .. إلى هذا الحد أزعم ... وإلى هذا الحد تصل خطورته.. وإلى هذا الحد يستطيع أتباعه تزييف الواقع...وإلى هذا الحد غموضه إلا على من غاص في فكره متحرراً... والغموض في مدرسته إلى اليوم.. كلامهم أحلى من العسل.. وفعالهم نراها في قطع الروؤس وقتل الأبرياء.. وهذه كلها سنتركها للبحث والدراسة إن قامت..

[5] وهذه الوقعة كانت هجوماً سياسياً من السلطان المملوكي على شيعة لبنان الذين اتهمهم السلطان بمكاتبة التتار، ويظهر أنها تحولت من قتال سياسي لزعماء كاتبوا التتار كغيرهم، إلى استئصال مذهبي، نظراً لوجود ابن تيمية في تلك الحملة وشراسته التي سنراها في الفتوى، وكان قائد الحملة

بسم الله الرحمن الرحيم

1- من الداعي[6] أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين[7] ومن أيد الله في دولته الدين وأعز بها عبادة المؤمنين وقمع فيها الكفار والمنافقين والخوارج المارقين[8]!
2- نصره الله ونصر به الإسلام وأصلح له وبه أمور الخاص والعام وأحيى به معالم الإيمان وأقام به شرائع القرآن وأذل به أهل الكفر والفسوق والعصيان[9]!
3- سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل وهو على كل شيء قدير ونسأله أن يصلى على خاتم النبيين وإمام المتقين، محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما
4- أما بعد فقد صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده!..[10]

هو (الأفرم) نائب السلطان على دمشق، ولابن تيمية دالة عليه وعلى الجيش بعد موقعة شقحب، وما زال الشيعة والدروز وغيرهم من الأقليات في لبنان والجبل وسوريا يشتكون إلى اليوم من شراسة هذه الحملة التي خرجت على الحد المعتاد ببيع الأطفال والنساء وقتل الأبرياء ممن لا يد له..ومن العجيب وربما من عقوبة الله أن ابن تيمية حوكم على عقيدته في نفس العام، والأفرم ومن معه من القواد الذين قادوا تلك الحملة الشرسة ضد من يتهمونهم أنهم كاتبوا التتار عادوا والتحقوا بالتتار وعادوا معهم ليحاصر مدن الشام! وليس مجرد مكاتبة فقط! فالخلاف سياسي وليس مذهبياً كما أراد ابن تيمية أن يظهره..ثم سبق أن ذكرنا أن التتار مسلمون .. ولم تكن يومئذ الدولة القطرية بهذا الثبات في الحدود والأرض.. وإنما من يقرأ تلك الفترة يجدها متموجة .. لا حدود ثابتة ولا ولاءات ثابتة.. بدليل أن قادة تلك الحملة انضموا للتتار.. ومن عجائب التوظيف المذهبي أن مدرسة ابن تيمية بقيت تثني على أهل السنة المنضمين للتتار ومنهم الأفرم قائد ابن تيمية وعيسى ابن مهنا صديق ابن تيمية بينما أبقت على ذم الشيعة الذين قيل أنهم كاتبوا التتار بحجة خيانتهم! وهذا التوظيف المذهبي موجود في مدرسة ابن تيمية إلى اليوم.. وهو عائق من عوائق الثقة بين المسلمين..

[6] هذه تزكية .. كل السلف كانوا يكتبون من (عبد الله فلان أمير المؤمنين) أو من (فلان) مباشرة ...

[7] لم يكن السلطان المملوكي يومئذ إلا سلطاناً على جزء يسير من بلاد المسلمين.. وكان صبياً صغيراً محكوماً لا قدرة له ولا قوة.. فانظروا هذه الاستمالة!

[8] في العبارة تحريض عجيب.. فلم يكن في الشام خارجي قط.. – نسبة إلى الخوارج- والمروق والنفاق والكفر إن صح في المكاتبين للتتار - إن صحت المكاتبة!- فهو أصح في المحاربين معهم الذين يثني عليهم ابن تيمية مذهبياً كما يهاجم هؤلاء ويكفرهم مذهبياً... وهذه الجرأة في الاتهام والتهويل والمذهبية موجود في المدرسة إلى اليوم.

[9] ليس الشيعة ولا التتار بكفار ولا منافقين..هم مسلمون .. لكن التتار فيهم ظلم ظاهر كسلاطين وقتهم.. وما يرد عليهم يرد على المماليك.. وأما الشيعة فمذهب من مذاهب المسلمين عندهم من الآراء ما لا نقرهم عليه ولا نجبرهم على الرجوع عنه إذ لا إكراه في أصل الدين فكيف بفروع المذهب.. وليس المبتدعة أيام ابن تيمية بأسوأ من المنافقين في عصر النبي (ص) فلم يستحل دماءهم ولا أموالهم ولم يبعهم بيع الأنعام في سوق البقيع..سيرة محمد صلى الله عليه وسلم يجب أن نجأر بها.. ولا نستحي من ذكرها .. وهي أولى بالتذكير والاستشهاد من سيرة السلطان الناصر بن قلاوون المملوكي..

[10] استخدام خطبة النبي (ص) يوم فتح مكة هنا تشويه لها... لأن النبي (ص) قاتل الكفار المحاربين حتى إذا نصره الله عليهم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء... والسلطان المملوكي حارب مسلمين يظن أنهم كاتبوا التتار ولم يقل لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.. وإنما: ابقوا فأنتم الأرقاء! هذا لمن بقي منهم من الضعفاء والولدان والنساء... أما الرجال فمن ظفروا به قتلوه أو نفوه من الأرض.. وتلبيس هذه

5- وأنعم الله على السلطان وعلى المؤمنين في دولته نعما لم تعهد في القرون الخالية![11]
6- وجدد الإسلام في أيامه تجديدا[12]..!
7- بانت فضيلته على الدول الماضية[13]!
8- وتحقق في ولايته خبر الصادق المصدوق أفضل الأولين والآخرين الذي أخبر فيه عن تجديد الدين في رءوس المئين[14]!
9- والله تعالى يوزعه والمسلمين شكر هذه النعم العظيمة في الدنيا والدين ويتمها بتمام النصر على سائر الأعداء المارقين.

[يتابع غلوه في سلطان وقته!]

10- وذلك أن السلطان أتم الله نعمته حصل للأمه بيمن ولايته وحسن نيته وصحة إسلامه وعقيدته[15] وبركة إيمانه ومعرفته وفضل همته وشجاعته وثمرة

الوحشية خطبة للنبي (ص) آخرها عفو ، فيه تشويه كبير فما أبعد الفعلين عن بعضهما وما أبعد المنتصر عن المنتصر والمهزوم عن المهزوم.. هذه كانت حرب قوى داخلية مسلمة .. غاية ما فيها أنها حرب من أهل العدل لأهل البغي... والبغاة لا تستحل دماء مدبريهم ولا تسبى نساؤهم ولا يباع أطفالهم..

[11] هذه الإنشائية لا تناسب العلماء... وإذا مانع الممانع في وصف هذا الكلام بالإنشائية، ويصر على أن ابن تيمية يعني ما يقول، فيجب أن يلتزم بأن حرب المماليك لمواطنيه الشيعة والدروز كان أفضل من كل جهاد حصل للمسلمين في القرون السابقة، ومنها الغزوات النبوية وحرب المرتدين وفتوحات الخلفاء الراشدين، وإن قال الممانع أن ابن تيمية يقصد القرون القريبة لا البعيدة، قلنا هذا جهاد صلاح الدين الأيوبي وتحريره الأقصى لم يأت عليه إلا قرن وعشرين عاماً فإذا كان استئصال المماليك لشيعة كسروان أفضل من تحرير الأقصى من الصليبيين فهذا تطرف كبير أيضاً، وتفضيل اضطهاد المسلمين على دحر الصليبيين..

[12] هذا غلو، فالسلطان المملوكي الناصر بن قلاوون رحمه الله كان مثل سائر السلاطين المماليك والعثمانيين والتتاريين والأيوبيين الغارقين في الحروب الداخلية باستثناء صلاح الدين الأيوبي الذي امتاز عن هؤلاء بتحرير الأقصى رغم أنه قد دخل في حروب داخلية أيضاً.... لكن في الجملة لا يعرف عدل أحد هؤلاء من الآخر إلا بعد بحث وتتبع ومقارنة صعبة.. ورسالة ابن تيمية هذه كانت قبل أن يحاكم ويسجن في عهد هذا السلطان وربما لو كانت الرسالة بعد ذلك لظلم هذا السلطان كما ظلم المأمون..

[13] بماذا؟ .. بحرب شيعة كسروان؟ هل هذه الفضيلة تزيد على فضائل كل الدول الماضية؟.. أم بالحرب مع التتار من الأتراك؟ هذه قد فعلها غيره من سلاطين عصره وقبله وبعده.. ونحن لا ننكر أن السلطان الناصر كان من كبار المماليك.. لكنه في آخر الأمر وفق منهج ابن تيمية من الفرق الهالكة لأنه أشعري .. والأشاعرة عند السلفية من الفرق الهالكة..

[14] هل يكون في المبتدعة مجدد؟ فالأشاعرة عند السلفية والحنابلة من الفرق الهالكة ..المستحقة للنيران.. وهذا السلطان قد امتحن ابن تيمية في عقيدته وسجنه ومات ابن تيمية في سجنه... فإما أن يرجع هؤلاء عن وصف الأشاعرة بالبدعة وإما أن يقروا بأن المبتدعة الممتحنين لشيوخ الإسلام على عقائدهم والمهينين لهم بالسجن والتبديع قد يكونون من المجددين لدين الإسلام..ليس هناك طريق ثالث.. والأمران لا يقر بهما ابن تيمية ولا مدرسته.. هذه رسائلهم القديمة والمعاصرة.. فابن القيم تلميذ ابن تيمية في نونيته يرى أن المشركين أخف في كفرانهم من الأشاعرة.. ومن المعارصين سفر الحوالي في رسالته عن (الأشاعرة) يجعلهم من الفرق الهالكة المستحقة للنيران.. والخلاصة أن رسالة ابن تيمية هذه كانت لاستمالة هذا الملك لنصرة المذهب الحنبلي فقط.. والله أعلم. .

تعظيمه للدين وشرعته ونتيجة اتباعه لكتاب الله وحكمته ماهو شبيه بما كان يجرى في أيام الخلفاء الراشدين[16] وما كان يقصده أكابر الأئمة العادلين من جهاد أعداء الله المارقين من الدين وهم صنفان:

[تقسيمه من يجب قتالهم إلى الكفار والمبتدعة!]

11- أهل الفجور والطغيان وذوو الغي والعدوان الخارجون عن شرائع الإيمان طلبا للعلو في الأرض والفساد وتركا لسبيل الهدى والرشاد وهؤلاء هم التتار ونحوهم من كل خارج عن شرائع الإسلام وإن تمسك بالشهادتين أو ببعض سياسة الإسلام[17]

12- والصنف الثاني أهل البدع المارقون وذوو الضلال المنافقون الخارجون عن السنة والجماعة[18] المفارقون للشرعة والطاعة مثل هؤلاء الذين عزروا بأمر السلطان من أهل الجبل والجرد والكسروان[19] فان ما من الله به من الفتح والنصر

---

[15] سبق التعليق ! ولا زيادة عندي إلا بأن هذا يؤكد أنه كان يريد استمالة هذا السلطان الشاب.. فقد كان يغره الثناء وهو في هذا السن الصغير.. وقد كاد أن يكسبه .. لولا أن الدولة كلها قائمة على المذهب الأشعري.. وقد توسل إليهم ابن تيمية أثناء تحقيقهم معه أن ينصفونه ولو كان يهودياً.. لكن المجددين للإسلام! لم يستجيبوا.!

[16] يشبه استئصال فرقة من فرق الإسلام مشابهاً لعمل الخلفاء الراشدين؟! وهذا يدل على أنه يرى الأمر نصراً عظيماً.. ولكنه لم يهنأ بهذا الثناء المبالغ فيه، إذ ما لبث أن اتهمه هذا السلطان وشيعته بما اتهم به هؤلاء الشيعة.. ولحق قائده ضدهم بالتتار.. وأوذي هو وأصحابه وتتبعوا ونودي بأن من يعتقد معتقده حل دمه وماله..وسجنوه .. ..

[17] قد يكون التتار أهل طغيان وفجور وفسق.. لكنهم غير خارجين عن شرائع الإسلام.. بمعنى ليسوا كفاراً...فهذا التكفير من ابن تيمية لمن يقر بأنه يشهد الشهادتين ويعمل ببعض سياسات الإسلام غلو في الحكم.. وهذه عادة مدرسة ابن تيمية لا يملكون أنفسهم عند الغضب .. فيكفرون بالمعاصي من يعاديهم، وينكرون على الخوارج التكفير بالمعاصي لمن مظالمه أكثر من مظالم هؤلاء.. فالحجاج إجماعاً كان شراً من غازان وأظلم منه.. ومع ذلك فإذا كفره الخوارج تصايح هؤلاء بأن هذا تكفير بالمعاصي.. فما بالهم هنا لا ينكرون على ابن تيمية تكفيره للتتار بالمعاصي والمظالم؟ ....إن إسلام التتار الذين حاربهم ابن تيمية مع المماليك محل إجماع بين المؤرخين..وسيأتي ترجمة غازان وخدابندة وغيرهم ممن حارب المماليك.. وكلهم مسلمون.. والصراع كان سياسياً بامتياز..

[18] هذه أبلغ من الأولى..فقد عمم هذا المروق من الدين والمستحق للاستئصال على جميع مذاهب المسلمين إلا مذهب أهل السنة والجماعة .. وليتهم يدخلون فيهم الأشاعرة والصوفية ومعتدلي الشيعة والظاهرية والأحناف والظاهرية ... بل كل هؤلاء عند هذه المدرسة هم خارج أهل السنة والجماعة ولا ينبئك مثل خبير! لكن من لا يدمن على قراءة كتبهم يظن أنهم لا يقصدون إلا الشيعة والخوارج والباطنية ..- مع أننا لا نرى إباحة دمائهم- ولكن من قرأ المذهب الذي ينصره ابن تيمية عرف تماماً أن أهل السنة والجماعة لا يقصدون به إلا الحنابلة فقط! بل فرع من الحنابلة وهم فرع أبي يعلى وأما الفرع الآخر (فرع ابن الجوزي) فهم عند ابن تيمية وعندهم مبتدعة أشاعرة جهمية ! هذا عند التحقيق وأما دعاوى دعاة المذهب فهم مسالمون لكل من قال لا إله إلا الله وأن ابن تيمية من أكثر العلماء تسامحاً واعتدالاً..!

[19] هؤلاء ذكرهم ابن تيمية كمثال فقط! كما هو ظاهر من العبارة وإلا فقد جعل كل من ليس من أهل السنة مستحقاً لهذا القتال ..ثم من حشو ابن تيمية أنه ذكر من صفاتهم الخروج من الطاعة مع أن قتال من خرج من الطاعة واجب ولو كان حنبلياً سلفياً ولكنه الحشو غير المقصود..

على هؤلاء الطغام هو من عزائم الأمور التي أنعم الله بها على السلطان وأهل الإسلام..

13- وذلك أن هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسدين في أمر الدنيا والدين فان اعتقادهم أن أبا بكر وعمر وعثمان وأهل بدر وبيعة الرضوان وجمهور المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان وأئمة الإسلام وعلماءهم أهل المذاهب الأربعة وغيرهم ومشايخ الإسلام وعبادهم وملوك المسلمين وأجنادهم وعوام المسلمين وأفرادهم كل هؤلاء عندهم كفار مرتدون أكفر من اليهود والنصارى[20] لأنهم مرتدون عندهم والمرتد شر من الكافر الأصلي ولهذا السبب يقدمون الفرنج والتتار[21] على أهل القرآن والإيمان[22].

---

[20] هذا تعميم غير صحيح.. فكثير من الشيعة الإمامية ليسوا على هذا التعميم، فعلي بن أبي طالب وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي والمقداد وأبي ذر وخزيمة بن ثابت والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وجابر بن عبد الله وغيرهم من أهل بدر والرضوان في خمسين من أهل بدر شهدوا مع علي مشاهده، في ثمانمائة من أهل الرضوان، في من استشهد أو مات في عهد النبي (ص) محل ثناء وتقدير، وهذا كتاب تراجم الشيعة ملأى بصحابة وتابعين .. نعم لبعضهم تعميم يشبه ما ذكره ابن تيمية، بل في الشيعة الإمامية غلاة من هذا الجنس وفي النصيرية والدروز ماهو أغلى من هذا وأعظم.. لكن هذا لا يبيح الدم ولا المال.. لأن من يكفر الصحابة وهو يرى أنه مسلم وأنه إنما يكفرهم لأنهم خالفوا النص ليسوا بأسوأ ممن يشهد الله بأنهم كاذبون ألا وهم المنافقون الذين كانوا يكيدون لنبي الإسلام كل شر.. ومع هذا لم يستحل دماءهم ولا أموالهم.. هذا منهج يجب أن يحيى.. لا زوال للتطرف إلا بإحياء السيرة النبوية.. وما أوقعنا في التطرف إلا مثل هذه التحريضات المذهبية التي تبحث عن التكفير واستحلال الدماء في حق خصومهم من أهل المذاهب ثم يتم نقل هذا التكفير من المذاهب إلى المجتمع كله .. وهكذا .. ومن قاوم الظلم كله واستحلال الدماء المعصومة لا يستثني دماء أقلية ولا مذهب ..من فعل هذا لم يجد الغلو إليه سبيلاً.. أما من سمح باستحلال دماء الدروز ثم الشيعة فسيصل إلى استحلال دماء كل المسلمين.. لأن التطرف يبدأ بهذه البدايات البعيدة التي تأخذ من الأطراف ثم تزحف حتى تصل داخل البيوت..

[21] لا سواء.. التتار مسلمون .. والفرنج هم الصليبيون ..

[22] تقديم الكفار على المسلمين في المولاة والتناصر فعله الجميع.. وحسن الظن بالمسلمين من سنة وشيعة أنهم فعلوه سياسياً لا مذهبياً.. أعني ما فعله بعض الأيوبيين أو بعض الأندلسيين من السنة أو ما فعله بعض الشيعة من الاستنصار بنصارى أو تتار على المسلمين إنما كان دافعهم المصلحة والسياسة لا المذهب.. على أن التتار مسلمين وليسوا كفاراً وقد يكون المماليك أعدل منهم .. لكن يهمنا هنا الهدف من هذا الاستنصار.. فإن كان الاستنصار للدنيا أو المصلحة مع عدم وجود ظلم من المخالف فهذه خيانة .. وإن كان الاستنصار لرفع ظلم وقع عليهم أو خصومة مع مخالفيهم .. فهذه أخف من الأولى.. أما الاستنصار بكافر ظالم على صاحب مذهب عادل فهذا إن وقع في التاريخ الإسلامي – ولا أخاله وقع- فهو إثم عظيم وفيه نوع من نفاق..ولكن ليس الخصم من يحكم بهذا .. حتى يسأل الطرف الآخر وينظر فقد تكون له مظلمة أو تأويل ما.. وقد لحق بالتتار والمغول كثير من أهل السنة ومن أصحاب ابن تيمية فلا يعمم هذا على المذهب.. وكان مع هولاكو جيشاً كاملاً من أهل السنة قد يمثلون ثلث جيش هولاكو فلا يذم المذهب السني بهم.. وكذلك في الأندلس استعان ملوكها ضد بعضهم بالنصارى وهذا خطؤهم ولا يمثل هذا المذهب السني.. وابن تيمية نفسه في كتابته إلى ملك قبرص يثني عليه ويذم التتار ويلمح إلى إمكانية تحالف المماليك معه ضد التتار المسلمين .. ومع هذا لو وقع لا يذم المذهب السني بتحالف من هذا النوع لو وقع.. بل في حملة السلطان المملوكي على الشيعة الإمامية كان معهم دروزاً بالمئات شاركوا في الهجوم على الشيعة وإخوانهم الدروز وهم عند ابن تيمية وعند كل أهل السنة كفار، ومع هذا لا يقال إن ابن تيمية

14- ولهذا لما قدم التتار إلى البلاد وفعلوا بعسكر المسلمين مالا يحصى من الفساد وأرسلوا إلى أهل قبرص فملكوا بعض الساحل وحملوا راية الصليب وحملوا إلى قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم مالا يحصى عدده إلا الله وأقام سوقهم بالساحل عشرين يوما يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرص وفرحوا بمجيء التتار[23] هم وسائر أهل هذا المذهب الملعون[24] مثل أهل جزين وما حواليها وجبل عامل ونواحيه، ولما خرجت العساكر الإسلامية من الديار المصرية ظهر فيهم من الخزي والنكال ما عرفه الناس منهم، ولما نصر الله الإسلام النصرة العظمى عند قدوم السلطان كان بينهم شبيه بالعزاء[25] كل هذا وأعظم منه عند هذه الطائفة التي كانت من أعظم الأسباب في خروج جنكسخان (جنكيزخان) إلى بلاد الإسلام وفي استيلاء هولاكو على بغداد وفي قدومه إلى حلب وفي نهب الصالحية وفي غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله[26]..

وجيشه فضلوا الكفار على المسلمين واستعانوا بهم عليهم.. ومسألة الاستعانة بالكفار على المسلمين مسألة فقهية يقول بها كثير من علماء المسلمين بضوابط محددة..

[23] هذه رواية ابن تيمية وإن صحت فهؤلاء الذين يقطعون الطريق ويبيعون الأحرار للكفار أو لغيرهم محل إدانة كبيرة.. وهؤلاء – إن صحت رواية ابن تيمية- قطاع طرق لا دخل لهم بمذهب ولا دين ولا إنسانية.. وقطاع الطرق واللصوص لا يختص به مذهب من المذاهب ولا دين من الأديان...وهناك قصص مروعة مماثلة لأناس منتسبون للسنة لا يجوز أن نربط هذه الأعمال إلا بالشيطان..

[24] لعن مذهب من المذاهب أو دين من الأديان عمل عصبية جاهلية .. لا ينبغي أن يصدر عن عالم..وبمثل هذه العبارة يتبين أن ابن تيمية صاحب خصومة شديدة مع المذهب الشيعي والخصم لا يؤخذ منه ما ينقله عن خصمه إلا ببينة.. وليس كل خصم يرفض قوله.. فبعض الخصوم منصف متثبت يخشى الكذب والتهويل ..وبعضهم لا يبالي بالتثبت ولا بالتقول على الخهصم سواء كان فرداً أو طائفة أو مذهباً أو قبيلة ..الخ ..

[25] يقصد أن الشيعة حزنوا عندما انهزم التتار من المماليك في وقعة شقحب.. عام 702هـ .. وحق لهم أن يحزنوا لأن التتار كانوا أرحم بهم من المماليك ومفتي جيشهم ابن تيمية الذين استأصلوهم وأجلوهم من ديارهم وباعوهم بيع الأنعام.. والتتار رغم ظلمهم لكنهم لم يكونوا يعملون هذه الأعمال.. كانوا أحسن إسلاماً وأخوف من الله .. وإن كانت جرائمهم مشهورة.. لكن لم تكن بهذه الوحشية التي أظهرها الجيش المملوكي ولم يكن مع التتار من علماء المسلمين إلا شافعية يأمرون قادة الجيش بالرأفة بالناس وقد يستجيب التتار كما في حصار الرحبة عندما استسلمت المدينة ثم رجع عنها التتار دون أن يسفكوا دماً.. فالشيعة أو المسيحيون أو الدروز أو غيرهم من الأقليات إن حزنوا على هزيمة من يكون معهم أعدل وأرحم فهذا من حقه.

[26] كل هذا يعرف ابن تيمية أنه غير صحيح.. والأسباب مفصلة في الدراسات الحديثة التي لا تنطلق من قراءة مذهبية للتاريخ، وفيها رسائل سعودية.. ومن أشهرها وأفضلها رسالة الدكتوراة لدكتور سعد بن حذيفة الغامدي عن (سقوط بغداد) وقدّ خرجت الدراسة بكثير من النتائج المذهلة، منها أن الدولة الخوارزمية (وهي سنية) كانت من بدأت بالاعتداء على المغول وقتل تجارهم.. فقام المغول بردة فعل اسقطوا فيها المشرق كله في سنة.. وكذلك برأت الرسالة ما أشاعه الداويدار الحنبلي منافس ابن العقلمي من روايته عن خديعة ابن العلقمي وأثبت أن ثلث جيش هولاكو كانوا مسلمين سنة... انضموا إليه من دول المشرق.. وكانت الإسماعيليون هم المقاومون في المشرق بينما سقطت الدول السنية تباعاً .. وأتت التهاني لهولاكو من دول وأمارات سنية بالشام وغيره.. فتوظيف المذهبية ليس سليماً.. ونحن نقطع بذم كل ظالم سواء دعمه شيعة أو سنة.. والصراع السياسي لا دخل له

15- لأن عندهم أن كل من لم يوافقهم على ظلالهم فهو كافر مرتد
16- ومن استحل الفقاع فهو كافر،
17- ومن مسح على الخفين فهو عندهم كافر،
18- ومن حرم المتعة فهو عندهم كافر،
19- ومن أحب أبا بكر أو عمر أو عثمان أو ترضى عنهم أو عن جماهير الصحابة فهو عندهم كافر،
20- ومن لم يؤمن بمنتظرهم فهو عندهم كافر[27]
21- وهذا المنتظر صبى عمره سنتان أو ثلاث أو خمس يزعمون أنه دخل السرداب بسامراء من أكثر من أربعمائة سنة وهو يعلم كل شيء وهو حجة الله على أهل الأرض فمن لم يؤمن به فهو عندهم كافر، وهو شيء لا حقيقة له ولم يكن هذا في الوجود قط
22- وعندهم من قال إن الله يرى في الآخرة فهو كافر،
23- ومن قال إن الله تكلم بالقرآن حقيقة فهو كافر،
24- ومن قال إن الله فوق السموات فهو كافر،
25- ومن آمن بالقضاء والقدر وقال إن الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء وان الله يقلب قلوب عباده وأن الله خالق كل شي فهو عندهم كافر،
26- وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التي أخبر بها في كتابه وعلى لسان رسوله فهو عندهم كافر!.[28]
27- هذا هو المذهب الذي تلقنه لهم أئمتهم مثل بني العود[29] فإنهم شيوخ أهل هذا الجبل، وهم الذين كانوا يأمرونهم بقتال المسلمين ويفتونهم بهذه الأمور ..
28- وقد حصل بأيدي المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العود وغيره وفيها هذا وأعظم منه !

بالمذهب.. ولكن مثل قراءة ابن تيمية المذهبية تجد جمهوراً كبيراً بين السلفية اليوم لأنه لا علم لهم بالتاريخ.. وهذه القراءات المذهبية تزيد من عوائق الثقة بين المسلمين..

[27] كل هذه الأمور تجميعات لما عليه أغلى فرق الشيعة.. وأستطيع أن أسرد أكثر منها من داخل تراث الحنابلة.. ولكن هذا الأسلوب يفتقد الموضوعية.. ليس كل الشيعة على هذا ولا أكثرهم.. والأمر فيه تفصيل يبعث على الملل والسآمة.. ويكفي أن نقول : لو صح أن الشيعة يعتقدون كل هذا فهذه لا تبيح الدماء ولا الأموال ولا الحقوق.. وكيف نتفاخر بأن الإسلام ينصف أهل الأديان وهو يرى استباحة دماء أهل الإسلام؟..

[28] هذه الأمور التي تحتها خط من خصائص الحنابلة.. أعني الرؤية وكلام الله والعلو والجبر ..الخ، وهذه من الدلائل على أنه يريد استمالة هذا السلطان الساب.. فهو يدعوه إلى العقيدة الحنبلية في شكل إنكار على الشيعة!ر وهذه من مواطن ذكاء ابن تيمية .. لأنه من المعلوم أن الدولة أشعرية وهي لا تؤمن لا هي ولا علماؤها بهذه الأمور..

[29] كبيرهم أبو القاسم بن الحسين بن العود الحلي الأسدي، من كبار علماء الشام في القرن السابع.. توفي سنة 677هـ وكان لبن تيمية يوم وفاته ستة عشر عاماً.. وابن العود هذا محل ثناء علماء السنة والشيعة على حد سواء، حتى تلامذة ابن تيمية كالذهبي وابن كثير اثنوا عليه بالفضل والعبادة والعلم.. وهو من الشيعة الإمامية وقد رثاه الشعراء.. وعندما قرأت ترجمته استغربت حملة ابن تيمية عليه.. بل قد رثاه ابن الحسام المعتزلي وهو من جلساء ابن تيمية وكان يعارضه بقوة..

29- وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علموهم وأمروهم لكنهم مع هذا يظهرون التقية والنفاق ويتقربون ببذل الأموال إلى من يقبلها منهم ..
30- وهكذا كان عادة هؤلاء الجبلية فإنما أقاموا بجبلهم لما كانوا يظهرونه من النفاق ويبذلونه من البرطيل (لعلها البواطيل) لمن يقصدهم، والمكان الذي لهم في غاية الصعوبة ذكر أهل الخبرة أنهم لم يروا مثله..
31- ولهذا أكثر فسادهم فقتلوا من النفوس وأخذوا من الأموال مالا يعلمه إلا الله،
32- ولقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرها معهم في أمر لا يضبط شره كل ليلة تنزل عليهم منهم طائفة ويفعلون من الفساد مالا يحصيه إلا رب العباد،
33- كانوا في قطع الطرقات وإخافة سكان البيوتات على أقبح سيرة عرفت من أهل الجنايات، يرد إليهم النصارى من أهل قبرص فيضيفونهم ويعطونهم سلاح المسلمين ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين، فإما أن يقتلوه أو يسلبوه وقليل منهم من يفلت منهم بالحيلة[30]..
34- فأعان الله ويسر بحسن نية السلطان وهمته في إقامة شرائع الإسلام وعنايته بجهاد المارقين أن غزوا غزوة شرعية كما أمر الله ورسوله[31] بعد أن كشفت أحوالهم وأزيحت عللهم وأزيلت شبههم وبذل لهم من العدل والإنصاف ما لم يكونوا يطمعون به وبين لهم أن غزوهم اقتداء بسيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه في قتال الحرورية المارقين[32] الذين تواتر عن النبي الأمر بقتالهم ونعت حالهم من وجوه متعددة أخرج منها أصحاب الصحيح عشرة أوجه من حديث على بن أبى طالب وأبى سعيد الخدري وسهل بن حنيف وأبى

---

[30] كل هذه الأخبار السوداء محل شك.. لأنه على منهج ابن تيمية يمكن تشويه أي مجموعة سكانية بمثل هذا القيل والقال.. خذ أي مذهب او أي قبيلة واجمع ما تعلمه من مساوئهم وسيأتيك بالأخبار كل كاذب ومتعصب.. ونحن أهل تلك الجهات من أن يكون فيهم هذا وأكثر ولكن بشرط أن نجده من طريق آخر غير متأثر بابن تيمية لأن ابن تيمية قد علمنا أن معلوماته مجرد تجميع لما يقوله أهل الخصومة.. ولنا في عصرنا عبرة.. خذ خصماً لدولة من الدول (إيران الشيعية) أو (عمان الإباضية) أو (المملكة السنية) واسمع منه ما جمعه من المساوىء .. فستخرج بمجلد كبير فيه كل شر..وهذا لا يعني سلامة هذه الدول من الأخطاء والمظالم.. لكن نقد الدولة أو المذهب يختلف عن شيطنته وجعله إبليس زمانه.. وهل الغلو يحبون شيطنة الخصوم..

[31] هي غزوة لكن أن تكون شرعية فهذا محل نظر... هو كأي نزاع سياسي.. لكن الاضطهاد فيها فاق سائر النزاعات في ذلك العصر.. نعم إن صح قول ابن تيمية بقطعهم الطرقات وترويعهم الناس فجزاؤهم القتال لأنهم مفسدون في الأرض.. لكن لم تذكر التواريخ شيء عن هذا .. وإن حصل من قليل منهم فلا يستحل بهذا دماء كل السكان في تلك النواحي.. ولا تصادر أملاكهم.. وبيان ابن تيمية هذا يشبه بيانات غلاة القاعدة اليوم عند وصفها عمل حكومة ما..

[32] كلا ... الإمام علي لم يقاتل الخوارج على مذهبهم.. وإنما بعد قتلهم للمسلمين وقصة قتلهم لعبد الله بن خباب بن الأرت وزوجته مشهورة، وهي سبب قتالهم بعد دعوتهم وطلب تسليمهم قتلة هؤلاء المظلومين.. بينما في مسألة شيعة كسروان الأمر مختلف تماماً..ثم الإمام علي عالج جرحى الخوارج ولم يتبع مدبرهم ولم يسبِ نساءهم ولم يأخذ أموالهم إلا ما وجد في المعركة، ولم يبع أطفالهم ولم يجعل أرضهم فيئاً لبعض الأمراء كما فعل الأفرم .. وهذه الفواحش كلها فعلها السلطان المملوكي بفتوى ابن تيمية في حق شيعة كسروان..وزالوا من ذلك الجبل إلى اليوم.. فهو استئصال كامل!..

ذر الغفاري ورافع بن عمرو وغيرهم من أصحاب النبي (ص)، قال فيهم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد لو يعلم الذين يقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد لنكلوا عن العمل يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه، وأول ما خرج هؤلاء زمن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وكان لهم من الصلاة والصيام والقراءة والعبادة و الزهادة ما لم يكن لعموم الصحابة، لكن كانوا خارجين عن سنة رسول الله وعن جماعة المسلمين وقتلوا من المسلمين رجلا اسمه عبد الله بن خباب وأغاروا على دواب المسلمين..

35- وهؤلاء القوم كانوا أقل صلاة وصياما ولم نجد في جبلهم مصحفا ولا فيهم قارئا للقرآن وإنما عندهم عقائدهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة وأباحوا بها دماء المسلمين وهم مع هذا فقد سفكوا من الدماء وأخذوا من الأموال مالا يحصى عدده إلا الله تعالى،

36- فإذا كان على بن أبى طالب قد أباح لعسكره أن ينهبوا ما في عسكر الخوارج مع أنه قتلهم جميعهم كان هؤلاء أحق بأخذ أموالهم[33]!

37- وليس هؤلاء بمنزلة المتأولين الذين نادى فيهم على بن أبى طالب يوم الجمل انه لا يقتل مدبرهم ولا يجهز على جريحهم ولا يغنم لهم مالا ولا يسبى لهم ذرية

38- لأن مثل أولئك لهم تأويل سائغ وهؤلاء ليس لهم تأويل سائغ

39- ومثل أولئك إنما يكونون خارجين عن طاعة الإمام وهؤلاء خرجوا عن شريعة رسول الله وسنته وهم شر من التتار من وجوه متعددة

40- لكن التتر أكثر وأقوى فلذلك يظهر كثرة شرهم وكثير من فساد التتر هو لمخالطة هؤلاء لهم كما كان في زمن قازان وهولاكو وغيرهما

41- فإنهم أخذوا من أموال المسلمين أضعاف ما أخذوا من أموالهم وأرضهم في لبيت المال

42- وقد قال كثير من السلف إن الرافضة لا حق لهم من الفيء[34] لأن الله إنما جعل الفيء للمهاجرين والأنصار والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم فمن لم يكن قلبه سليما لهم ولسانه مستغفرا لهم لم يكن من هؤلاء[35]

---

[33] لا يعقل أن لا يجد في جبلهم مصحفاً .. فهذه مبالغة، أما علي فأخذ أموال الخوارج التي أجلبوا بها إلى المعركة وهذا فعله مع أهل الجمل وصفين أيضاً.. ولا قياس على ما فعله المماليك بتهجير هؤلاء من أرضهم وإعطاء أرضهم لآخرين..فهذه لم يفعلها إلا المغول والصليبيون..

[34] أيحق المال والفيء للمنافقين أعداء رسول الله (ص) ولا يحق للمبتدعة من شيعة ونواصب وخوارج من أعداء أبي بكر أو عمر أو علي أو عمار؟..فالنبي (ص) كان يشرك المنافقين في الفيء والعطاء.. وهؤلاء الغلاة يريدون منع المسلمين.. لا بد من إحياء سيرة النبي (ص)..

[35] بل هؤلاء الذين لم تكن قلوبهم سليمة للإسلام يكون لهم من العطاء أكبر .. بل لهم حقوق .. ولذلك فرض الله للمؤلفة قلوبهم فرضاً من الزكاة.. ومعنى المؤلفة قلوبهم أن نياتهم لم تكن سليمة تجاه

43- وقطعت أشجارهم لأن النبي لما حاصر بني النضير قطع أصحابه نخلهم وحرقوه فقال اليهود هذا فساد وأنت يامحمد تنهى عن الفساد فأنزل الله ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين وقد اتفق العلماء على جواز قطع الشجر وتخريب العامر عند الحاجة إليه فليس ذلك بأولى من قتل النفوس وما أمكن غير ذلك،

44- فان القوم لم يحضروا كلهم من الأماكن التي اختفوا فيها وأيسوا من المقام في الجبل إلا حين قطعت الأشجار وإلا كانوا يختفون حيث لا يمكن العلم بهم وما أمكن أن يسكن الجبل غيرهم، لأن التركمان إنما قصدهم الرعي وقد صار لهم مرعى وسائر الفلاحين لا يتركون عمارة أرضهم ويجيئون إليه[36]

45- فالحمد لله الذي يسر هذا الفتح في دولة السلطان بهمته وعزمه وأمره وإخلاء الجبل منهم وإخراجهم من ديارهم وهم يشبهون ما ذكره الله في قوله (هو الذي اخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب وما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين)[37]...

46- وأيضا فانه بهذا قد انكسر من أهل البدع والنفاق بالشام ومصر والحجاز واليمن والعراق ما يرفع الله به درجات السلطان ويعز به أهل الإيمان..

فصل

الإسلام ونبي الإسلام.. فكيف يحرم من لم يكن قلبه سليماً لأبي بكر أو علي ؟.. فغضب القلوب يزول مع العطاء والتألف.. والقلوب وحشية فإذا تألفتها بالمال وحسن الخلف تألفت وانقادت.. انظروا كيف انحرف بعض السلف عن غايات القرآن وطرقه للحلول باللين والتألف.. ولذلك استطاع النبي (ص) بتطبيقه هذه السياسة أن يجمع حوله كل هؤلاء البشر.. من مؤمنين ومنافقين وأعراب.. لأنه طبق القرآن الكريم.. ولفظة (المؤلفة قلوبهم) كافية في الرد على ما أورده ابن تيمية أو نقله عن بعض السلف..

[36] هنا يحاول ابن تيمية تبرير إزالة الغابات في لبنان كله..! بقياسه على عمليات يسيرة في بستان من بساتين بني النضير.. كان ذلك البستان حول دون تقدم المسلمين من جهة ما.. أما إهلاك الغابات وإقطاع الجبل لغير أهله.. فهذا جور .. والعاقل يفرق بين عمليات محدودة في بستان من البساتين وبين إزالة غابات دولة كاملة..!

[37] حشر هذه الآيات في نزاع مذهبي أو سياسي يشوه قصة إجلاء النبي (ص) لبني النضير.. فالقصة مختلفة تماماً.. وقد حشر ابن تيمية حرب علي للخوارج ثم أحاديث منسوبة للنبي (ص) في قتال الخوارج – وهي محل بحث- ثم ختم بالآيات الكريمة مشبهاً المسلمين غير المحاربين باليهود المحاربين الذين لم يكونوا من سكان المدينة أصلاً.. وإنما وفدوا إليها بعد غزوة نبوخذ نصر وتنكيله باليهود... ثم بعد نقضهم للعهود مرة بعد أخرى ووقوفهم في ظهر المسلمين واستمرار جاسوسيتهم على المسلمين وتحالفهم مع الكفار في منطقة صغيرة لا تتجاوز مدينة صغيرة اليوم.. يختلف اختلافاً جذرياً عن نفي مسلمين أو حتى غير مسلمين عن ديارهم وإعطائها لغيرهم، ومعاقبة الجميع بفعل البعض أو بمكاتبة دولة مسلمة أخرى .. فهذا جور وظلم.. ولم يفعل هذا من عمليات التهجير الجماعي والقتل الجماعي إلا الصليبيون، حتى المغول لم يفعلوه....

47- تمام هذا الفتح وبركته تقدم مراسم السلطان بحسم مادة أهل الفساد وإقامة الشريعة في البلاد فإن هؤلاء القوم لهم من المشايخ والأخوان في قرى كثيرة من يقتدون بهم وينتصرون لهم في قلوبهم غل عظيم وإبطان معاداة شديدة لا يؤمنون معها على ما يمكنهم ولو أنه مباطنة العدو.

48- فإذا أمسك رءوسهم الذين يضلونهم مثل بني العود زال بذلك من الشر مالا يعلمه إلا الله، ويتقدم إلى قراهم وهى قرى متعددة بأعمال دمشق وصفد وطرابلس وحماة وحمص وحلب بأن يقام فيهم شرائع الاسلام والجمعة والجماعة وقراءة القرآن ويكون لهم خطباء ومؤذنون، كسائر قرى المسلمين وتقرأ فيهم الأحاديث النبوية وتنشر فيهم المعالم الإسلامية[38].

49- ويعاقب من عرف منهم بالبدعة والنفاق بما توجبه شريعة الإسلام فإن هؤلاء المحاربين وأمثالهم قالوا نحن قوم جهال وهؤلاء كانوا يعلموننا ويقولون لنا أنتم إذا قاتلتم هؤلاء تكونون مجاهدين ومن قتل منكم فهو شهيد

50- وفي هؤلاء خلق كثير لا يقرون بصلاة ولا صام ولا حج ولا عمرة ولا يحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير ولا يؤمنون بالجنة والنار من جنس الإسماعيلية والنصيرية والحاكمية والباطنية

51- وهم كفار أكفر من اليهود والنصارى بإجماع المسلمين فتقدم المراسيم السلطانية بإقامة شعائر الإسلام من الجمعة والجماعة وقراءة القرآن وتبليغ أحاديث النبي في قرى هؤلاء من أعظم المصالح الإسلامية وأبلغ الجهاد في سبيل الله وذلك سبب لانقماع من يباطن العدو من هؤلاء، ودخولهم في طاعة الله ورسوله وطاعة أولى الأمر من المسلمين وهو من الأسباب التي يعين الله بها على قمع الأعداء فإن ما فعلوه بالمسلمين في أرض سيس نوع من غدرهم الذي به ينصر الله المسلمين عليهم وفي ذلك لله حكمة عظيمة ونصرة للإسلام جسيمة،

52- قال ابن عباس ما نقض قوم العهد إلا أديل عليهم العدو ولولا هذا وأمثاله ما حصل للمسلمين من العزم بقوة الإيمان وللعدو من الخذلان ما ينصر الله به المؤمنين ويذل به الكفار والمنافقين، والله هو المسئول أن يتم نعمته على سلطان الإسلام خاصة وعلى عباده المؤمنين عامة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا اهـ الفتوى..

---

[38] وهذه دعوة للإكراه على المذهب.. فقد طالب بالقبض على علمائهم ثم بث علماء مذهب مخالف ليعلمون البقية بالقوة .. وله فتوى أخرى في وجوب فصل أولادهم عنهم إن حدث لهم أولاد ..! يقول (يجب أن يحال بين الرافضي وبين أولاده في حال حياتهم لأنه لابد من أن يفسد دينهم – موسوعة فقه ابن تيمية 68/1).. وهذه من أعجب الفتاوى وأظلمها.. لأن الإسلام لا يفرق بين اليهودي وأولاده ولا بين المجوسي وأولاده مع وجود العلة نفسها التي علل بها ابن تيمية هذا الأمر.. لكنه هوسه بالخصومة مع الشيعة جعله يفتي بهذه الفتوى، ويمكن تطبيقها على كل المبتدعة في نظره من صوفية وأشاعرة ومعتزلة وإباضية وزيدية ويمكن تطبيقها اليوم على القوميين و العلمانيين والشوعيين ... لأن العلة موجودة.. ولولا أن هذه الفتوى غير ممكنة على أرض الواقع لما ردها شيء..

وغزوة كسروان :

كما ذكرها الذهبي تلميذ ابن تيمية في كتابه العبر [جزء 1 - صفحة 268]

في حوادث سنة خمس وسبعمائة:

قال: (وسار عسكر دمشق والأفرم النائب لحرب الجرديين فضايقوهم أياما وهم رافضة آذوا الجيش في مكاتبة قازان ثم صولحوا وفرقوا وخرجوا من أراضيهم)[39].. قلت: إذن أذيتهم لم تكن كما أشاع ابن تيمية من الجرائم وقطع الطريق إنما كاتبوا غازان وهو ملك التتار المسلم..والتتار مسلمون... ولم يكونوا يتبعون دولة المماليك.. كانوا مستقلين في الجبال.. فهل تتناسب هذه الغزوة والتنكيل مع الجرم الذي ارتكبوه.. على أن المكاتبات عامة فعلها كل إمارات الشام.

وأما العقوبة

فاختصرها العيني في كتابه تاريخ أهل الزمان (467/1) بقوله:

(فأبادوهم قتلاً وتشتيتاً في البلاد، وسُبيت نساؤهم، وبيعت أولادهم، واستخدم أسندمر المذكور منهم جماعة بطرابلس، وانقطع أثرهم من الجبال،).

قلت: فالعقوبة شديدة كما ترى لم يعهد حصولها في تاريخ المسلمين بين مسلمين ومسلمين.. حتى ولو اختلف مذاهبهم.. فكيف سيستسيغ شيعة الشام الثناء على ابن تيمية في ديارهم؟.. بل كيف يستطيع السنة أن يجاهروا بفضل ابن تيمية في سوريا ولبنان بعد أن ذاقوا من التفرق بسبب فتاواه في كل المذاهب سنية وشيعية ودروز ومسيحيين[40] ما ذاقوا من الويلات والتنازع والخلاف..

ماذا جرى لرؤوس هذه الحملة!
ابن تيمية المفتي..!
والأفرم قائد الحملة..!
وأهل دمشق الداعمين بالأموال!
أما ابن تيمية:

فأن من العبر التي يجب أن يستفيد منها كل طالب علم، أن يرى عاقبة ابن تيمية مع من جعله كالخلفاء الراشدين وشبه غزوته لمسلمين بغزوة النبي (ص) ليهود بني النضير ..

39 ..

40 حتى المسيحيين ليس لهم خصومة مع عالم من علماء المسلمين كخصومتهم مع ابن تيمية بسبب فتوى أخرى له في إلزام المسيحيين بلباس خاص..! وهذا ما لم يفعله النبي (ص) مع يهود المدينة ولا مع المنافقين .. وإنما كتب وثيقة دفاع مشترك من أجمل ما كتب من الوثائق وأعدلها.. لابد من إحياء سيرة النبي (ص)..

فقد عوجل بعقوبة هذا الغلو، عوقب ابن تيمية في السنة نفسها، ومدرسته كثيراً ما تركز على موضوع العبرة إلا في هذه القصة ... فهم يقولون إن ابن العلقمي عوجل بالعقوبة ومات كمداً.. وهكذا ..

فما هي عقوبة ابن تيمية وأهل دمشق..

أما ابن تيمية فقد تسلط عليه ذلك السلطان نفسه وعلماء أهل السنة الدمشقيين أنفسهم، إذ أفتوا فيه وفي أتباعه بمثل ما أفتى في الشيعة أو قريباً منه، ففي العبر للذهبي الجزء والصفحة نفسهما: [جزء 1 - صفحة 268] :

(وفيها – أي سنة 705هـ) نفسها التي غزا فيها وأفتى وحرّض- : فتنة الشيخ تقي الدين بن تيمية وسؤالهم عن عقيدته فعقد له ثلاثة مجالس وقرئت عقيدته الملقبة بالواسطية وضايقوه وثارت الغوغاء والفقهاء له وعليه، ثم وقع نوع وفاق ثم إنه طلب على البريد إلى مصر وصورت عليه دعوى عند المالكي فاستخصمه الشيخ وقاموا . فسجن الشيخ وأخواه بالجب بضعة عشر شهرا ثم أخرج ثم حبس بحبس الحاكم ثم أبعد إلى الإسكندرية فلما تمكن السلطان سنة تسع طلبه واحترمه وصالح بينه وبين الحكام وكان الذي ادعى عليه به بمصر أنه يقول : إن الرحمن على العرش حقيقة وإنه يتكلم بحرف وصوت . ثم نودي بدمشق وغيرها : من كان على عقيدة ابن تيمية حل ماله ودمه)!! وكذلك كان يفتي بإكراه أهل البدع فأتهمه العلماء بالبدعة وأكرهوه على كتابة ذلك قال ابن عبد الهادي في العقود الدرية [جزء 1 - صفحة 213]

(فأقيم الشيخ وأخواه وسجنوا بالجب بقلعة الجبل (بمصر) وجرت أمور طويلة، وكُتب إلى الشأم كتاب سلطاني بالخط عليه فقرىء بالجامع وتألم الناس له ثم بقي سنة ونصفا وأخرج وكتب لهم ألفاظا اقترحوها عليه وهدد وتوعد بالقتل إن لم يكتبها)..!..اهـ ثم بعد ذلك سجن في قصة خلافه مع الإتحادية، قال ابن عبد الهادي في العقود الدرية [جزء 1 - صفحة 213] (فتحزب عليه صوفية وفقراء وسعوا فيه وأنه تكلم في صفوة الأولياء فعمل له محفل ثم أخرجوه على البريد، ثم ردوه على مرحلة من مصر ورأوا مصلحتهم في اعتقاله فسجنوه سنة ونصفاً) اهـ...

ونقول من باب العبرة: سبحان الله، ما أفتى ضد الشيعة بشيء إلا وأفتوا فيه وفي أصحابه بمثله..سجن .. نفي من الأرض.. فتوى باستباحة الدماء والأموال!.. إكراه ..أذية أقربائه وتلامذته.. فلم يُمَتّع بالتشفي من الشيعة والنصيرية والدروز وغيرهم .. وتواصل اعتقاله والتشنيع عليه من ذلك التاريخ .. ففي العبر [جزء 1 - صفحة 270] سنة تسع وسبعمائة (بعث بابن تيمية مع مقدم إلى الإسكندرية فاعتقل ببرج).. وفي الجانب الآخر تكونت عند الشيعة ردة فعل كبرى كما في العبر [جزء 1 - صفحة 270] من السنة نفسها – سنة 709 هـ (وأظهر خربندا الرفض بمملكته وغير الخطبة وشمخت الشيعة وجرت فتن كبار) وقدموا واحتلوا الشام لم يدفعهم عنه إلا استعطاف العلماء المخالفين لابن تيمية والضعفاء من أهل المدن والحصون..

بل حتى في نسبته للشيعة ما ليس فيهم أبتلي بمثله، قال صاحب العقود الدرية [جزء 1 - صفحة 218] (وتكلموا في حقه بأنواع الأذى وبأمور يستحي الإنسان من الله سبحانه أن يحكيها فضلا عن أن يختلقها ويلفقها فلا حول ولا قوة إلا بالله)! وقد سرد ابن تيمية كثيراً من هذه الحوادث وكان كثير الشكوى من كذب الناس عليه ومنهم علماء..

وكان يطالب بأن ينصفوه ولو كان يهودياً.. لكنه غفل عن احتمال كون هذه عقوبة .. فطالما قال عن العلماء والمذاهب مثل ما يقولون عنه.. بل معظم ما ذكروه عنه صحيح.. وكتبه شاهدة.. بينما ما يذكره عن الناس والطوائف والمذاهب إنما ينقلها عن مجهولين ..وهو نفسه خصم لهؤلاء .. ولا حد في عقيدة مما اختلف فيه المسلمون إنما الحدود سبعة وهي معروفة لا تزيد ولكنها قد تنقص.

وأما الأفرم قائد الحملة:

وغيره من قواد الجيش فقد لحقوا بالتتار وصاروا من أنصارهم... وكذا ابن مهنا أمير العرب والمحامي عن ابن تيمية .. وقد أطال ترجمته صاحب الوافي بالوفيات - (ج 3 / ص 277) وما بعدها، ومن خلال ترجمته لم تطن حياته سعيدة، فقد عاش خائفاً يترقب قتلاً أو سجناً بعد تلك الغزوة.... وهو على منهج ابن تيمية كافر لأنه كان ينذر عند القبور... وكان صاحب لهو وطرب وكرم.. وانتهى الأمر به إلي الهرب إلي خرابندة الملك المتشيع ومات وهو وال له على همذان سنة 716هـ)..!! بعد أن حرض خرابندة على الشام ومصر...

وأما أهل دمشق:

الذين تبرعوا بالأموال لدعم الجيش بفتاوى ومواعظ ابن تيمية فقد أهلكوا أموالهم وكانوا في السنة القابلة في فقر شديد...

قال المقريزي في السلوك (1/ 313):

(ولم تخرج هذه السنة إلا وأهل دمشق في فقر مدقع، وفي ذلك يقول علاء الدين على ابن مظفر الوداعي:

أما دمشق فأهلها قد أصبحت ... بكرية جعلوا التسنن مذهبا

سراً وجهراً أنفقوا أموالهم ... حتى تجلل كل شخص بالعبا..) اهـ[41] اهـ

ثم أقول: لم يكن ذكر هذه من الشماتة نعوذ بالله أن نشمت من أحد.... ولكن أظن أن مدرسة ابن تيمية لو يذكرون عقوبات غلاتهم وما آلت إليه أمورهم كما يفعلون مع الآخرين .. لاعتبروا.. وعرفوا أن الدنيا لا تستاهل كل هذا ولا المذهب..

[41] لأنهم أنفقوا أموالهم في دعم جيش السلطان ! حتى هم عوقبوا بالفقر المدقع حتى قيلت في ذلك الأشعار! والشاعر يهزأ من أن دعمهم للسلطان كان دعماً مذهبياً وكانت الحرب مذهبية .. هؤلاء مع أبي بكر والشيعة مع علي.. فلذلك قال (بكرية) ... والغريب أن السلطان لم يعطهم شيئاً من تلك الأموال العظيمة التي سلبها في تلك الغزوة... وهكذا أغبياء الفقراء.. ينفقون أموالهم في المعصية المذهبية فيكافئون بالعدل الإلهي لعلهم يرجعون.. فيستغفرون من التقصير في الإنفاق!